الفصل الأول

المقصود بالمنهج وتحديات العصر

يتطرق هذا الفصل لدراسة الموضوعات التالية

- بعض التصورات الحديثة لمفهوم المنهج التربوى.
- أهمية المنهج التربوى.
- المنهج التربوى وتحديات العصر.

تمهيد:

إذا نظرنا من حولنا، لوجدنا أن السمة الغالبة لهذا العصر، تقوم على أساس التحدى. فالدول المتقدمة الغنية، تتحدى بعضها البعض، لمزيد من السيطرة والهيمنة على أسواق العالم التجارية. أيضا، الدول المتقدمة، تتحدى الدول النامية، فى شتى المناحى الاقتصادية والعسكرية والسياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية.. إلخ.

وعلى مستوى الطبيعة ذاتها، نجد أنها تتحدى الدول والإنسان على السواء. فالكوارث الطبيعية، مثل: الزلازل والبراكين والأعاصير وفيضانات البحار والأنهار، تمثل تحديات حقيقية، يقف أمامها الإنسان عاجزاً، لا يستطيع أن يفعل تجاهها أى شىء. أيضا، تقف الدول أمام الكوارث الطبيعية، وكأن لاحول لها أو قوة، وتعلن عن المناطق التى تضربها هذه الكوارث، بأنها مناطق كوارث، فتحاول أن تساعد سكان هذه المناطق قدر استطاعتها بالمأكل والملبس وأماكن الإيواء، وأحيانا تضطر أن تطلب مساعدة الدول الأخرى فى مقابلة هذه الكوارث، التى قد تمثل كارثة اقتصادية حقيقية، لما تسببه من تخريب فى البنية الأساسية.

واستطراداً للحديث عن تحدى الطبيعة للإنسان، نتكلم عن ثقب الأوزون، حيث باتت جميع حلول هذه المشكلة وكأنها مجرد مسكنات فقط، إذ أن الخراب آت آت، بسبب هذا الثقب. فالتصحر بدأ يغزو مناطق كثيرة من العالم، بسبب ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية. أيضا، بدأ تغيير واضح فى الخريطة المناخية للعالم، وجفت الأنهار، أو فى سبيلها للجفاف. كذلك، من المتوقع أن يؤثر الارتفاع الكبير فى درجات الحرارة، على جبال الجليد فى القطبين، فإذا ما حدث

ذلك، فقد تفيض المحيطات والبحار بالمياة، للدرجة التى تسبب غرق واختفاء عديد من المدن، وربما تشمل الكارثة عديدًا من الدول.

وعلى مستوى التكنولوجيا، التى اخترعها وصممها الإنسان من أجل رفاهيته وسعادته، أصبح الإنسان عبدًا لها بعد أن كان سيدها، وبات تابعًا لها بعد أن كانت تتبعه. لقد عظم شأن الآلة فى هذا العصر، لدرجة أنها باتت تزاحم الإنسان فى رزقه، وتتحكم فى مستوى معيشته. فالملاحظ الآن ـ بسبب التقنيات رفيعة المستوى ـ أن الآلة حلت محل الإنسان فى عديد من الأعمال، وباتت الصيغة التى تتحكم فى الاقتصاد القومى لجميع الدول بلا استثناء، ٢٠٪ من السكان يعملون، ٨٠٪ من السكان لا يعملون. وبذا، انتشرت البطالة بين الناس، وقد صاحبها أمراض العزلة والاكتئاب والتقوقع على الذات، كما زاد وقت الفراغ عند الناس، ففكر بعضهم فى استغلاله للترويح عن أنفسهم، بينما فكرت غالبية الناس فى القيام بأعمال غير مشروعة، مثل التخريب والتطرف والإرهاب والتقل والسرقة. ولعل أقل هذه الأعمال غير المشروعة، هو الاحتجاجات والمظاهرات ضد الحكومات، بطرق غير قانونية.

والخلاصة، لقد أصبحت التكنولوجيا فى تقدمها المتسارع، بمثابة الوحش الكاسر الذى أصاب أمن وأمان الإنسان فى مقتل، لأنها زاحمته فى رزقه، وحلت محله فى الأعمال التى كان يقوم بها، ووفرت له الوقت الكثير، ليفكر فى عمل الشر.

فى ضوء ما تقدم، نقول إن التحديات السابقة التى تواجه الإنسان، تعود فى مجملها إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والتعليمية والصحية.. إلخ، وهذه الأزمات قد تتوفر أبعادها، وبالتالى يمكن تحديد هويتها وكينونتها بدرجة كبيرة. ولكن، يوجد عديد من الأزمات الخطيرة، التى تعود إلى الإنسان نفسه، وخاصة فى الدول النامية.

ومن هذه الأزمات، نذكر الآتى[1]:

* أزمة القصور والتقصير الذى أصاب عموم الأداء، وأفضى إلى واقع شديد الاختلال، ملئ بالأخطار والتهديدات.

* أزمة غياب الضوابط التى تحمى أى مجتمع من الانقسام إلى مجتمعات متنافرة، توسع بينها فروق مستويات التعليم وتوحش الغنى.

* أزمة انتشار ثقافة الضوضاء والصهللة، وما ترتب عليها من منتج ثقافى ضحل.

* أزمة عدم إدراك أهمية إحياء الجذور وصحيح القيم، والأخذ من التحديث بالأنسب والأفضل.

* أزمة تخلف العادات والتقاليد، مما جعل سلوك وتصرفات الإنسان تبدو وكأنها لإنسان بدائى.

* أزمة عدم تطوير وتشديد واستقامة نظم وأجهزة التقويم والرقابة واستعادة هيبة القانون.

* أزمة عدم نشر وتعميق التكافل الاجتماعى، وتوزيع ناتج التنمية بعدالة، على أساس أن التنمية ذاتها بالإنسان وللإنسان.

* أزمة افتقار القيادات للرؤية الواضحة بالنسبة لقضايا التنمية، وعدم امتلاكها لآليات الكفاءة والإبداع، وعدم تمكنها من مهارات الإدارة والتطوير والتحديث.

* أزمة مزاحمة العمالة الأجنبية للعمالة الوطنية فى عديد من ميادين العمل، مما أثر سلبًا على مستوى إتقان العمالة الوطنية لمهارات العمل، ومما زاد نسب البطالة والعجز بين هؤلاء العمال.

* أزمة إدعاء الإنسان بالمعرفة والخبرة فى أمور ليست لدية أية فكرة عنها، وبذا أصبح كل فرد بمثابة عالم ببواطن الأمور، يقول ما يعن له، ويفعل ما يشاء حسب رؤيته الخاصة.

* أزمة تفشى الإهمال واللامبالاة والفهلوة والانحراف والذوق السقيم القبيح.

* أزمة غياب الضبط والربط وفضيلة الإتقان والثواب والعقاب.

وعلى الرغم من تعدد الأزمات والتحديات التى يموج بها عصرنا هذا، فإن العلم هو السبيل الوحيد لمواجهتها، مع مراعاة أن الأزمات والتحديات آنفة الذكر تعود ـ كما قلنا من قبل ـ إلى الإنسان نفسه.

والآن:

ماذا عن الأزمات والتحديات التى يواجهها الفكر الإنسانى؟

إذا خصصنا الحديث عن الفكر العربى، فإننا نتفق مع رؤية (زكى نجيب محمود)، التى مفادها ما يلى:

«إنما يكون العصر عصراً بأفكاره المحورية التى حولها تدور الرحي، وتظل تلك الرحى فى دورانها، تطحن ما تطحنه، وتهمل ما تهمله، فيبقى حبيس قشرته كما كان، حتى إذا ما فرغ الوعاء من المادة المراد طحنها، قيل عن ذلك العصر أنه يجر أذياله ليختفى، وتكون عندئذ قد ظهرت فى الأفق بشائر عصر جديدة، على أن العصر الواحد إذا امتد أجله، انقسم فى داخله إلى مراحل متمايزة بخصائصها، تمايزاً يكاد يجعل كل مرحلة منها بمثابة عصر جديد يختلف عن سابقه، كما يختلف عن لاحقه، بأفكار محورية تميزه. فالعصر عصر بفكرته، أو بأفكاره الكبرى، التى تكون بدورها كالينابيع تنبثق فروعها من أصولها»[٢].

ومن منطلق أن الدول المتقدمة قد أنشأت إدارات لمواجهة تحديات العصر، سواءكانت فى صورة أزمات اقتصادية وسياسية وإجتماعية، أم كانت فى صورة كوارث طبيعية كالزلازل والحرائق والسيول، فإن بعض الدول النامية بدأت أخيراً فى إنشاء وحدات خاصة لإدارة شئون الأزمات والأحداث الطارئة، غير المأخوذة فى الاعتبار.

وحتى تنجح هذه الفكرة فى الدول النامية، ينبغى النظر بعين الاعتبار إلى الأحداث الصعبة المتوقع حدوثها، وتحديد العاجل أو الآجل منها، من خلال بعض المؤشرات الإحصائية والرياضية الدالة على ذلك، ثم التطلع إلى معالجة جادة لهذه الأحداث، لا تأخذ بالأعراض والقشور، وتترك الجذور والأسباب الحقيقية.

ويتطلب تحقيق ما تقدم، الاستعانة بالخبراء المتخصصين ومراكز الاستقصاء، لتشارك بعلمها وأبحاثها العملية والميدانية. فالمجتمع الذى يحترم العلم ويجعله دليلاً وأساسًا لحل مشكلاته، هو مجتمع يتمتع أفراده بالصحة النفسية السوية، لأن جميع التحديات يتم مواجهتها بأساليب علمية دقيقة، كما أن هذا المجتمع لا يحجب المعلومات عن أفراده، وإنما يطرحها للمناقشة العلمية، ليدلو كل فرد بدلوه، إذا استطاع تحقيق ذلك. أيضا، المجتمع الذى يوظف العلم فى حل مشكلاته ومعضلاته، يكون قد سلك الطريق القويم، الذى يجعل من هذا المجتمع، مجتمعًا فاضلاً، وقويًا، وله مكانتة المميزة بين بقية المجتمعات. فالفرق بين مجتمع آخر، يعود بالدرجة الأولى إلى الأخذ أو عدم الأخذ بناصية العلم فى مواجهة تحديات العصر.

تأسيسًا على الحديث آنف الذكر، يكون من الطبيعى والمنطقى طرح السؤال المهم التالى:

ما الدور الذى يمكن للمنهج التربوى أن يقوم به لمواجهة تحديات العصر؟

قبل الإجابة عن السؤال السابق، يكون من المهم والمجدى التطرق لمفهوم المنهج التربوى وأهميته؛ إذ إن ذلك يبرز الدور الفاعل الذى يمكن للمنهج التربوى الإسهام به من مواجهة تحديات العصر.

وفيما يخص تعريف المنهج، فإن الحديث التالى يتعرض لبعض التصورات الحديثة لمفهوم المنهج التربوى:

بعض التصورات الحديثة لمفهوم المنهج التربوى:

يتعلم التلاميذ فى المدرسة بعض المواد العامة. مثل: المهارات، والمفاهيم، والتعميمات، كما أنهم يكتسبون بعض الاتجاهات، وذلك عن طريق خبرة أو أكثر من الخبرات المدرسية التى يتم تحديدها لهم سلفًا، وهذه الأمور التى يتعلمونها أو يكتسبونها تنجم عن أشياء: ترى وتسمع وتتحقق وتعمل فى مواقف متنوعة. وفى المقابل، يتعلم التلاميذ أيضًا أشياء كثيرة خارج المدرسة، مع الأخذ فى

الاعتبار أن الخبرات التى يكتسبها التلاميذ داخل جدران المدرسة غالبًا ما تؤثر فى الأشياء التى يتعلمونها خارج المدرسة. فمثلا: الولع فى القراءة الذى تنميه المدرسة قد يؤثر بدرجة كبيرة فى اختيار السجلات والكتب، التى تقرأ خارج المدرسة. وعلى الجانب الآخر، فإن كراهية القراءة التى قد تولدها الكتب المدرسية ذات المستوى الصعب أو الأسلوب المعقد، قد تخلق لدى بعض التلاميذ اتجاهًا سلبيًا نحو قراءة الكتب غير المدرسية. ما سبق، يوضح أن التعليم خارج المدرسة يتأثر بصورة سافرة بما يتم تعليمه داخل المدرسة.

بسبب ما تقدم، بات التنسيق والتعاون بين المدرسة من جهة، وبين المؤسسات التى لها دور كبير فى التأثير سلبًا أو إيجابًا، فى تربية وتوجيه النشء من جهة أخرى، ضرورة واجبة ولازمة. وبتعبير آخر، يجب أن تسير برامج هذه المؤسسات (أجهزة الإعلام ـ البيت ـ دور العبادة ـ الجمعيات والنوادى ـ . . .) ووسائل تأثيرها فى خط متواز مع أهداف التربية المثلى؛ حتى لا ينشأ الطفل وقد تولدت فى نفسه عقد كثيرة، وتكونت عنده الازدواجية، ويصبح نهبًا مقسمًا بين مختلف الاتجاهات والانتماءات، ويصبح ولاؤه مضطربًا مزعزعًا، وبالتالى تكون مهمة تربيته تربية صالحة مهمة شاقة.

فى ضوء الاعتبارات السابقة، يكون المنهج بمثابة البرنامج الذى يصمم كى يتمكن التلاميذ من السيطرة بفاعلية على الأنشطة والخبرات التى تحقق لهم مردودات تربوية وغير تربوية إيجابية، مع مراعاة أن بعض هذه الأنشطة والخبرات محدد فى صورة مجموعة من العمليات الإجرائية، بينما بعضها الآخر غير محدد ويتسم بالعمومية.

وعليه، ينبغى أن يشمل المنهج التربوى، ما يلى:

(أ) المقررات الدراسية بما تشمله من موضوعات علمية تعد الجانب المهم الرئيسى من مكونات المنهج، ولكنها ليست مرادفة له. وهذه المقررات تمثل خبرات الماضى، الهدف منها نقل الثقافة من جيل إلى آخر.

(ب) النشاطات التى يمارسها التلميذ تحت إشراف المدرس، أو التى يقوم بها المدرس والتلميذ متعاونين سويا. سواء أكان ذلك فى حجرة الدراسة، أم المختبر، أم المكتبة، أم فى مواقع العمل ومراكز النشاط التعليمى والتربوى التى يقومون بزيارتها. وهذه النشاطات بمثابة خبرات من الحاضر، الهدف منها استكشاف قدرات التلميذ لتنميتها فى الاتجاه المنشود.

(جـ) القيم وأهداف الحياة التى تتضمنها محتويات المواد الدراسية بمقرراتها وموضوعاتها ونشاطاتها التى تختار أساسا لتساعد التلميذ على أن يحقق ذاته ويعبر عن نفسه. لذا تعد هذه القيم والأهداف برامج لتوجيه التلميذ، إذ أنها بمثابة خبرات الماضى والحاضر والمستقبل مجتمعة معًا.

أيضًا، يمكن النظر إلى **المنهج** بمفهومه الحديث على أنه بمثابة المخطط الهندسى للعملية التعليمية، المصمم حول مبدأ منظم ومنسق، مثل التعاون بين الجماعة، وحل المشكلات بالأسلوب العلمى.

ويتميز هذا التصميم الهندسى بالآتى:

١- ينظم سياقًا متتابعًا من المواقف التعليمية يبنى كل واحد منها على ما قبله، ويهيئ لما بعده.

٢- يضع تقديراً لسرعة سير وتقدم التعليم، وما يتطلبه من توفير للوقت اللازم بصورة تتناسب مع الفروق الفردية بين التلاميذ.

٣- يستخدم ما ثبتت صلاحيته من مبادئ التعليم، وأساليب التعليم والتقويم.

وبعامة نلاحظ مما سبق عرضه أن المنهج بمفهومه الحديث يؤكد أهمية وضرورة **عامل التخطيط**، الذى ينظم الخبرات ويوجهها نحو غاياتها وأهدافها المرجوة، وذلك ما تقوم المدرسة بتحقيقه فى ضوء حاجات المتعلم وإمكاناته وقدراته ومطالب نموه. كما يؤكد المنهج الحديث أهمية متابعة عمليات التعلم ورعايتها، بهدف الوصول إلى المستوى المنشود. لذا يؤكد المنهج الحديث أهمية عمليات:

التقويم والتطوير، والتحديث، والتوجيه كلما كان الأمر يستدعى ذلك[٣].

والآن: كيف يتم ترتيب عناصر المنهج الحديث بحيث ترتبط معًا فى نسيج متشابك متلاحم الأطراف؟.

إن أحدث التصورات القائمة حاليًا لترتيب عناصر المنهج، وهو ما يتم فى ضوء **منهج تحليل النظم***، وذلك على النحو التالى:

تتأثر عملية بناء المنهج بعوامل عدة متداخلة ومتشابكة، لذا يعد المنهج منظومة لعديد من المنظومات الأكبر، وذلك كما فى الشكل التالى:

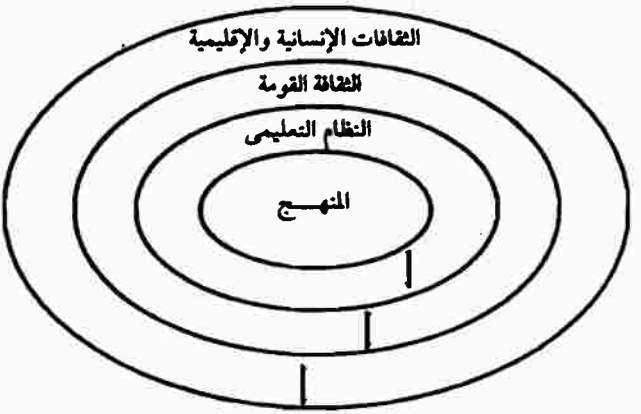

يظهر الشكل السابق أن المنهج كنظام، ليس معزولا، إذ إنه يتشابك بعلاقات تبادلية مع أنظمة أخرى.

---

* النظام هو ذلك الكل المتكامل، والمنظم والمركب الذى يربط بين عناصر وأجزاء (نظم فرعية) ذات خصائص معينة تتداخل مع بعضها فى علاقات تبادلية مستمرة، بالصورة التى لا يمكن بها عزل أحد هذه العناصر أو الأجزاء عن بعضها البعض، مكونة فى مجموعها ذلك النظام، الذى يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من النظم المتصلة به، والتى تكون مجتمعة ما يطلق عليه النظام الأشمل، أو النظام الأوسع.
معنى ذلك، أن النظام يتكون من أجزاء ذات علاقات، أو ذات تعاملات فيما بينها، لذا فإن دراسة أى جزء من أجزاء النظام لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى.
وفى ضوء ما سبق، فإن منهج تحليل النظم هو المنهج الذى عن طريقه يمكن تحليل مدخلات ومخرجات المنظومات المختلفة، التى تكون النظام الأشمل، وذلك بهدف دراسة مدى الاتساق بينها.

وعلى الجانب الآخر، فإن المنهج كنظام ـ حسب التعريفات التى سبق سردها لمفهوم المنهج الحديث ـ يشير إلى أن عناصر هذا النظام تكون على النحو التالى:

- أهداف المنهج.
- محتوى المنهج (المقررات الدراسية، ومفاهيمها، وطرق التفكير فيها)
- أساليب ووسائل تنظيم المحتوى فى صورة أنشطة وخبرات تعليمية تعلمية يمكن تطبيقها.
- التقويم (التقويم أثناء التنفيذ ـ التقويم النهائى)

والعناصر الأربعة السابقة متداخلة متشابكة، كما يبين ذلك الشكل التالى[٤]:

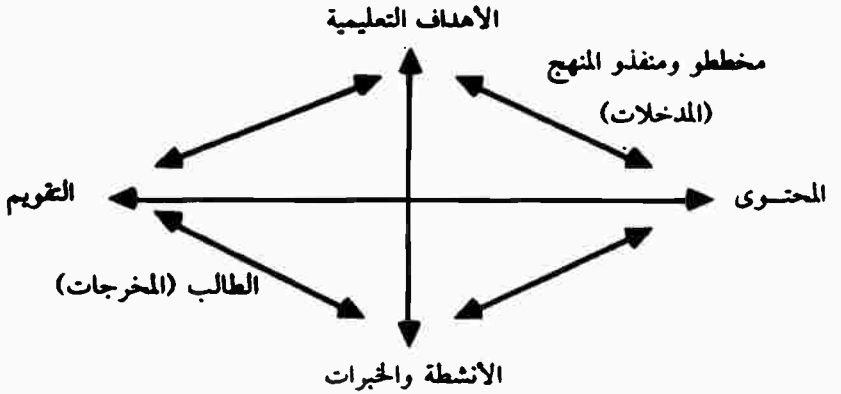

يظهر الشكل السابق ما يلى:

١- إن أهم مخرجات المنهج كنظام هو الطالب، وذلك بعد إكسابه الأهداف التربوية المنشودة. وإن أهم مدخلات المنهج كنظام هى جهود المعلم وكفايته، وذلك بعد حدوث التواصل بينه وبين الطلاب فى حجرة الدراسة.

٢- إن المنهج كنظام متحرك مستمر؛ إذ إن تحقيق الأهداف المرغوب فيها، يتطلب الاستفادة القصوى من الإمكانات المتاحة من جهة، وبذل أقصى جهد ممكن

بأقل نسبة من الأخطاء من جهة أخرى، مع الأخذ فى الاعتبار أنه قد تعدل بعض الممارسات والأنشطة وفقًا لمقتضيات الحال.

٣- إن المنهج كنظام يعتبر العلاقة بين عناصره علاقة عضوية، متشابكة، تبادلية التأثير(٥).

أهمية المنهج التربوى:

المنهج هو تفسير للفلسفة التربوية القائمة، إذ إنه يعكس السياسة التى ترسمها الدولة كما أنه الميدان الذى من خلاله تتحقق الأهداف التربوية المرسومة المنشودة، لذا فهو بمثابة المجال الذى تتصارع فيه الآراء، والحلبة التى تتضارب فيها الأفكار.. وعليه، لا نغالى إذا قلنا إن الفرد يستطيع أن يفهم سياسة بلد ما، وأن يعرف الاتجاهات السائدة فيه، وذلك عن طريق معرفته للمناهج الدراسية المعمول بها والمطبقة فى مدارس ذلك البلد.

وبعامة، لا يحتد النقاش، ولا يثار جدل حول أى موضوع من الموضوعات مهما كانت أهميته وخطورته، مثلما يثار حول المنهج، إذ يشتد الجدل حوله بين رجال التربية، والمعنيين بشئون التعليم، والمتخصصين فى المواد العلمية (الأكاديمية)، فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين رجال السياسة والاقتصاد والاجتماع من جهة أخرى، وقلما يتفق هؤلاء وأولئك إتفاقًا بينًا على مواد المنهج، ومحتوياته، ومقرراته.

ولتوضيح أهمية المناهج التربوية، أقول أنه كلما عانى أى بلد من البلاد من وهن فى موقع من المواقع، فإن اللوم والتعنيف يوجهان مباشرة إلى واضعى المناهج، وذلك بحجة أنهم لم يتداركوا الأمور التى أدت إلى ذلك الوهن عند وضعهم للمناهج، بمعنى، أنه كلما وجد فى بلد ما أن التعليم أصبح غير ملائم بسبب الظروف التى يمر بها ذلك البلد، أو بسبب المرحلة التى يجتازها، وأنه كلما كان هناك نقص فى الإنتاج، أو ضعف فى التوجيه الخلقى والوطنى، أو غير ذلك من الظواهر السلبية غير المرغوب فيها، فإن اللوم كل اللوم ينصب فقط على

المنهج، وتفتح طاقات الجحيم على رؤوس واضعى ذلك المنهج. أيضًا، يوجه النقد، ويقع اللوم على المنهج وعلى واضعيه حتى بالنسبة لما يعانيه المجتمع خارج المدرسة من تفكك عام، فكأنما هو المسئول الأوحد عن كل ما يصيب الأمة من خذلان، وما يحل بالجيل من ضعف وضياع. وكمحاولة لسد النقص الذى يظهر فى بعض الجوانب، واستجابة لتلك الانتقادات التى توجه للمنهج والتى تكال لواضعى المنهج، وتلبية للحاجات الجديدة، يبدأ التغيير فى المنهج أو التعديل فى بعض جوانبه، حذفًا أو زيادة أو دمجًا. وأحيانًا، يتم تغيير المنهج تغييرًا جذريًا من أساسه، بهدف التغلب على كل نواحى الضعف التى يمكن ملاحظتها فى المنهج القائم.

والآن: هل يمكن تعديل المنهج أو تغييره كلية بما يتلاءم مع ما يحدث من تغييرات سريعة فى شتى المجالات والميادين؟ وما السبيل لتحقيق ذلك؟

تزداد المشكلات التربوية تعقيدًا كل يوم عن السابق له، وذلك بسبب تعقد الحياة، وتعدد مطالبها، كما أن هذه المشكلات تتسم بأنها سريعة التغيير. لذا، لا يمكن مراجعة المناهج المتبعة بكل دقة وموضوعية، إلا عن طريق دراسة الكيان الاجتماعى الكلى الذى تنمو فيه وترتبط به تلك المشكلات. وعليه، يجد من يقوم بعملية إصلاح المناهج نفسه، وكأنه يقوم بمخاطرة فى أرض رخوة، أو أمام رمال متحركة، وذلك بسبب التضارب والتضاد فى الآراء بالنسبة لأى جانب من الجوانب يجب أن تبدأ فيه أولا عملية الإصلاح. ونظرًا لصعوبة الوصول إلى اتفاق كلى ونهائى حول المنهج، فإننا نجد أن السلطات التربوية المركزية ـ وبخاصة فى البلاد التى تأخذ بالنظام المركزى فى الإدارة التربوية ـ تعمد إلى وضع منهج موحد لجميع أبناء الأمة الواحدة وتفرضه على جميع الطلاب. وتستند فى ذلك إلى أن تشعب الآراء وتعدد وجهات النظر قد يكون السبب المباشر وراء ضياع الكثير من الجهد، والمال، والوقت قبل التمكن من الوصول إلى الحل النهائى الأفضل[٦].

إن تركيز السلطات فى يد هيئة عليا تكون مسئولة مسئولية كاملة عن تخطيط المناهج، يعنى أن هذه الهيئة لديها القدرة التامة على معرفة ما ينبغى أن يتضمنه المنهج، وما يجب توجيه النشء إليه.

ولكن: هل يمكن تحقيق ما تقدم بصورة جيدة اعتمادًا فقط على كفاءة العاملين فى حقل تخطيط المناهج؟.

إن وضع مناهج جيدة، تناسب العصر، وتعكس آماله وطموحات الأمة، يستوجب الموازنة بين التخطيط والتنفيذ. وعليه، يجب أن يشترك فى تخطيط المناهج بعض المعلمين ممن سيقومون بتدريس هذه المناهج، وبعض الموجهين ممن سيقومون بالإشراف على المناهج عند تدريسها، وبعض الطلاب ممن سيقومون بدراستها. ومن ناحية أخرى، يجب ألا يقتصر عمل اللجان المسئولة عن وضع المناهج على مجرد تخطيطها، وإنما يجب أن يتحمل العاملون فى تلك اللجان بعض مسئولات التنفيذ، وذلك عن طريق نزولهم للميدان العملى فى المدارس لمتابعة تدريس وتعليم المناهج التى تم تخطيطها.

وفى الحقيقة، رغم الانتقادات الكثيرة التى قد توجه للنظام المركزى فى تخطيط المناهج، إلا أن إحدى مزاياه الرئيسية التى لا يمكن إغفالها تتمثل فى خلاصة ما ذهبنا إليه من أهمية المنهج ودوره فى توجيه الجيل وتربيته، إذ يعتبر المنهج المدرسى من أهم موضوعات التربية، بل هو أهمها، وهو لب التربية وأساسها، فهو الوسيلة التى نستخدمها لتحقيق الأهداف التربوية والقومية التى نبغى تحقيقها، وهو الطريق لإعداد الأجيال القادمة التى تعتبر عدة الوطن، وهو السبيل إلى مستقبل أسعد، وعالم أفضل تسوده الثقة، والطمأنينة، والسلام.

ويعنى تخطيط أى منهج تحديد نوع الثقافة السائدة فى المجتمع. كما أنه يعكس مدى عمق واتساع هذه الثقافة. وهذا ليس بالأمر السهل اليسير، لأن المجتمعات فى تطور مستمر وتغير دائم. لذا يجب أن يراعى عند تخطيط المنهج أن يكون مرنًا ليساير التطور والتغير، وليتماشى مع مطالب الحياة.

فى المقابل، فإن تحديد موضوعات المنهج وتخطيطه ليس بنهاية المطاف، وذلك لأن الطريقة التى ينفذ بها المنهج، والأسلوب الذى تعالج به موضوعاته لهما أثر واضح فى مدى نجاح المنهج، فقد تكون الطريقة فجة عقيمة تصرف التلاميذ عن الرغبة فى العلم، وقد تكون مشوقة تدفعهم إلى المزيد من البحث، والتعمق فيه، والاستزادة منه(٧).

ونظرًا لاختلاف وجهات النظر حول نوع الخبرات التى ينبغى تقديمها فى المدرسة، وحول القواعد التى يجب استخدامها لاختيار محتوى المنهج، فإن دراسة المنهج كموضوع تربوى أساسى أصبح أمرًا ضروريًا لا مفر منه لكل من يعنى بالمسائل التربوية، سواء أكان مخططًا أم منفذًا.

ومن ناحية أخرى، أصبح موضوع «المناهج» كمادة أساسية فى معاهد وكليات إعداد المعلمين واسع الانتشار، كما أن البحوث العلمية والمجالات المتخصصة لموضوع المناهج تزداد يومًا بعد يوم. ويتناول موضوع «المناهج» وصف المحتوى الدراسى بشكل عام، بما فى ذلك اختيار وتنظيم ووضع الموضوعات بصورة متدرجة فى مكانها المناسب، كما أنه يتناول تقسيمات، وأنواع، وإدارة المناهج.

باختصار، يمكن القول أن موضوع «المنهج التربوى» يهيئ الخبرات اللازمة لنماء التلاميذ، وتكوين شخصياتهم من جميع جوانبها، وذلك فى ضوء السياسة التربوية والتعليمية المعمول بها.

المنهج وتحديات العصر:

عندما نتحدث فى موضوع تحديات العصر، نقول إن خطورة هذا الموضوع تتولد من أن جذوره قد تنبثق من الماضى السحيق والقريب على السواء. فالأشتات والتفصيلات التى يعيش الناس فى ظلها ساعة بعد ساعة، وفى غمرة موجها يومًا بعد يوم، ليست وليدة ظروفها الحالية المفاجئة، وإنما جاءت وفرضت نفسها لتمثل الحياة المعاصرة التى ينبغى أن يتوافق الناس معها. إن إيمان الناس أن يعيشوا ظروفهم الحياتية المتاحة، وأن يتطلعوا فى الوقت ذاته إلى المستقبل، ليس

أمرًا سهلا على طول الخط، وبخاصة أن الناس فى التفافهم للماضى لاستلهامه فى تقدير مواضع صحيحة لأقدامهم، ربما يتمسكون بهذا الماضى تحت شعار التواصل بينهم وبين أسلافهم، فيقاومون فكرة التطور وما يتبعها من إيمان بضرورة التغير.

وعلى الرغم من التحفظ السابق، فإننا نقول بدرجة كبيرة من الثقة أن فكرة التطور وما يتبعها من نتائج فى حياة الإنسان، النظرية والعملية على السواء، هى الفكرة السائدة الآن، والتى يؤمن بها السواد الأعظم من شعوب الكرة الأرضية. إن فكرة التطور جاءت لتسود بالكامل عصرنا، لذا فهى أعمق الجذور فى وجهة النظر المعاصرة، كما أن لها سيادة تتحكم بها فى تشكيل الرؤية بالنسبة للموضوعات المطروحة للبحث والنظر. أيضًا، فإن فكرة التطور هى التى ألقت الضوء على أنه لا يوجد شىء له صفة الثبات. فالكون نفسه مأخوذًا بجملته ليس ثابتًا على صورة واحدة. والإنسان نفسه فى وضعه الحالى ليس كما كان فى الماضى، ولن يكون على حاله نفسها فى غده البعيد. إن التغير أمر محتوم، لذا فإن الوجود عندما يتطور بكل موجوداته، يتبعه تغير فى صورة الحياة، وتتغير معه مسالكنا وسلوكياتنا إزاء هذه الحياة، وتتباين ردود أفعالنا لمثيراتها.

إن رؤية عصرنا تستوجب أن يكون اتجاه سيرنا نحو المستقبل، وذلك لأن الماضى قد فات زمانه ومضى بظروفه وأحداثه ورجاله، وأقصى ما يستطيع أن يقدمه لنا، هو مساعدتنا على فهم حاضرنا كيف جاء، وعلى إدراك الأبعاد التى قد يكون عليها مستقبلنا، فلم يعد من الممكن أن يكون المستقبل هو امتداد للماضى لسبب بسيط هو أن الحاضر يفصل بينهما.

إذًا، علينا أن نفهم بوعى أن التغير هو الحقيقة الباقية، ولا توجد حقيقة سواها، وإذا نظرنا من حولنا لأدركنا ذلك بسهولة؛ إذ إننا نلاحظ «سرعة محمومة فى تغير الأوضاع بكل صنوفها: علم يتغير كل يوم، لا ينسخ ماضيه، بل يضيف إليه. نظم سياسية تزول ونظم سياسية تقوم قوائمها. ثورات لا تنقطع أسبابها، بعضها رأسى يبدأ فى إقليمه وينتهى فى إقليمه، وبعضها أفقى يمتد ما

امتدت أقطار الدنيا، فيشمل فئات من البشر تتشابه ظروفها وإن تباعدت أوطانها، كالعمال والشباب والمرأة، وهكذا. إن كل شعوب الأرض فى يومنا يأخذها قلق على المصير، سواء أكانت الشعوب ممن تقدم أم كانت ممن تخلف، فمن تقدم تقلقه سرعة التقدم حتى ليفزع على سلامة مصيره، ومن تخلف يقلقه بطء خطواته نحو أن يلحق بالركب. فالمستقبل هو ملتقى أنظار الجميع، ثم يأتى فى هذا الإطار حنين الإنسان إلى ماضيه»[٨].

والسؤال: لماذا يصبح من المهم أن يقابل المنهج تحديات العصر ويتصدى لها؟

بادىء ذى بدء، ينبغى الإشارة إلى أن **المناهج هى** سبيل التربية لتحقيق أهدافها، لذا تعتمد الحضارة المعاصرة بدرجة كبيرة على المناهج التى عن طريقها يتم توسيع بعض القدرات الذهنية والعقلية، وتثبيت بعض الممارسات السلوكية عند المتعلمين كى يعيشوا بسلام فى عالم اليوم: عالم التغيير والتجديد، عالم الحركة والتوتر، عالم الأمل والرجاء، عالم الهيجانات والاسترخاء النسبى. وعلى الرغم من التناقضات السابقة التى هى من سمات الستين سنة الأخيرة (ما بعد الحرب العالمية الثانية)، فإن المدرسة يمكن أن تكون قوة رئيسة، وأن تلعب دوراً فعالا ومصيريًا، لو أنها سارت فى الاتجاه الصحيح. وبمعنى آخر، ينبغى أن تؤكد المناهج التى تقدمها المدرسة أن الحضارة هى محصلة لقدرات الإنسان من جهة، وأن تعمل على إكسابه العلم المفيد الذى يساعده على مقابلة التحديات التى تنبع من ظروف العصر الذى يعيشه، واحتياجات المستقبل الذى ينتظره، وتغيرات البيئة التى تحيط به من جهة ثانية.

ومن هنا، أصبحت المناهج مسئولة مسئولية كاملة لمقابلة تحديات العصر فى ظل الاعتبارين التاليين:

«أ» إن المدارس جزء لا يتجزأ من حياة الأمم وطريقة معيشتها:

إن النظام التعليمى القائم فى أى مجتمع من المجتمعات، لهو محصلة الخبرات المتجمعة لذلك المجتمع، وانعكاسًا للقيم التى يؤمن بها أفراده، وتعبيراً عن

الفلسفة السائدة فيه. فمثلا، إذا كان التعليم بالمجان فى أى بلد من البلدان، وإذا كان مجال القبول بالمدارس مفتوحًا أمام جميع التلاميذ بغض النظر عن ألوانهم، ومعتقداتهم، ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وانتماءاتهم السياسية، فإن ذلك ينبع أساساً من نظرة ذلك البلد إلى التعليم، وذلك من حيث: أهميته، وجدواه، ولمن يقدم. فمثلا، يؤدى الهدف المثالى، المتمثل فى التعليم المجانى وإتاحة الفرص المتساوية أمام الجميع، إلى التوسع المستمر فى المدارس، وبخاصة مدارس التعليم الابتدائى، لتضم جميع الأطفال فى العمر المدرسى، ولتهيئ لهم فرصًا تربوية متكافئة.

إن المفهوم الذى تتضمنه هذه الفلسفة لتوفير تعليم مجانى، وإتاحة فرص تربوية متساوية لكل فرد كى ينمى طاقاته إلى أقصى حد ممكن، هى من جملة الأسباب التى تؤثر فى تكوين النظام التربوى وتصميمه بما يتفق وتلك المثل. وتتأثر المناهج التى تقدمها المدرسة بصورة مباشرة بالمثل والمواقف والضغوط التى يمارسها الأفراد والجماعات فى المجتمع. فمثلاً، أدى التوسع الرأسى لمدارس التعليم العام بسبب مد فترة التعليم الإلزامى من جهة، وإطالة العام الدراسى من جهة ثانية، وتشريع القوانين الخاصة بمنع تشغيل الأحداث (فى كثير من الدول) لإبعادهم عن سوق العمل التنافسى من جهة ثالثة، إلى ضرورة إعادة النظر فى نوع الخبرات التى تتيحها المدارس للأطفال والشباب على حد سواء. إن الميادين والمجالات التى تستخدم خريجى المدارس للعمل فيها، أو التى تقبلهم لمواصلة دراستهم فى مراحل دراسية أعلى، قد بدأت تضغط على واضعى المناهج؛ كى يعدلوا فى المناهج المقررة للمراحل التعليمية المختلفة بما يتلاءم ومتطلبات الدراسة فى المستويات الأعلى.

إذًا، ينبغى إعداد مناهج تربوية ذات نوعية جيدة، تجعل من التربية قوة اجتماعية إيجابية، إذ إن هذه المناهج تسهم فى تعليم الإنسان تعليمًا حيويًا منتجًا وتعمل على صناعة مستقبله. بمعنى، أنه عن طريق المناهج يستطيع الإنسان المتعلم أن يواجه حاضره، ويتصدى لمستقبله.

«ب» ينبغى أن تكون التربية قوة اجتماعية إيجابية:

تزداد الحياة المعاصرة تعقيدًا يومًا بعد يوم، لذا يحتاج المواطن الذكى الفعال إلى معلومات مضبوطة تساعده على الوقوف على ما يدور حوله من الأحداث، سواء على المستوى المحلى أم على المستوى العالمى. كما أنها تجعله قادرًا على التصدى بالحلول العلمية والعملية للمشكلات التى تواجهه فى حياته الخاصة، والتى يعانى منها المجتمع الذى يعيش فيه. ومن ناحية أخرى، فإن تقليص المسافات بين الدول بسبب وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة الجبارة، يعنى حدوث اتصالات حضارية جديدة ومعقدة. ومن ناحية ثالثة، تحتاج شعوب العالم للتواصل من أجل بناء سياسات متوازنة على أقل تقدير، لذلك أصبحت الشئون الدولية بالغة الأهمية لكل فرد، لأن الأحداث التى تقع على بعد آلاف الأميال فى أى بلد من البلاد لها تأثير مباشر على حياته، سواء أكان هذا التأثير إيجابيًا أم سلبيًا.

كذلك، لم تبدو مشكلات الحياه اليومية أكثر شدة، وأعظم قسوة مثلما هى عليه الآن، وذلك بسبب هجرة الريف والنزوح الجماعى إلى داخل البلاد أو خارجها، وبسبب زيادة أوقات الفراغ الذى وفرته الآلة للإنسان.

فى ضوء ما تقدم، لم تكن الحاجة إلى **تربية واقعية** لجميع الأفراد - أطفالا وشبابًا وكهولا - أشد مما عليه الآن، وذلك بسبب التغير المستمر الذى يتطلب الأشخاص القادرين على معالجة تعقيدات الحياة اليومية، والقادرين على رؤية العلاقات والاختيارات بالنسبة للقيم الاجتماعية والإنسانية رؤية صحيحة موضوعية.

وتنعكس من جميع أنحاء العالم الدلائل التى تشير إلى الثقة المتزايدة فى قوة التربية كمصدر للبيئة وكدليل يسترشد به الأطفال ليتعلموا كيف يسهمون فى عالم اليوم، وعالم الغد. وتقع مسئولية الرد على هذا التحدى على عاتق المدرسة حتى تصبح التربية بالفعل قوة إيجابية اجتماعية. وبالطبع، لن يتحقق ما تقدم، ما لم

يقوم المدرسون، والمسئولون عن قيادة العملية التربوية بفحص وتقييم الآراء والمقترحات التى تؤدى إلى معالجة مشكلات المنهج الأساسية، وما لم يفكروا بجدية ووعى فى بناء منهج جديد يواكب روح العصر.

خلاصة القول، أنه فى ظل الأدوار الوظيفية للمنهج على أساس أنه وسيلة التربية لتحقيق أهدافها من جهة، وفى ظل ظروف عصرنا الذى يستطيع أن يتحدانا، مستظلا بمظلة العلوم وتقنياتها، وما يتبع ذلك من قوة الصناعة وقوة السلاح وثراء المال وارتفاع مستوى العيش وتشابك العلاقات بين الأفراد والدول، إلخ من جهة أخرى، نستطيع تحديد أهم التحديات الحقيقية للمناهج التربوية فى الآتى:

* المنهج على ضوء اندحار مستوى التعليم فى مصر.
* المنهج فى ظل التطور السريع الذى يحدث فى العلوم البحتة والإنسانية.
* المنهج ومقابلة التطور السريع الذى يحدث فى العلوم البحتة والإنسانية:
* المنهج والتصدى لمحاولات الغزو الثقافى الخارجى الذى يسعى إلى تزييف وتشويه هويتنا الثقافية القومية.
* المنهج والمشكلات البيئية.
* المنهج وتحديات المعرفة الجديدة والمتجددة.
* المنهج وهيمنة المشكة العنكبوتية (إنترنت)
* المنهج والمتطلبات الأساسية لبناء والإنسان الجديد.

المراجع مرتبة كما جاءت بالفصل

(١) سكينة فؤاد، «فجرثانٍ للضمير..؟!»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠١/٨/١٧.

(٢) زكى نجيب محمود، «الفكر العربى وتحديات العصر»، جريدة الأهرام فى ١٩٨٧/١/١٣.

(٣) مجدى عزيز إبراهيم، دراسات فى المنهج التربوى المعاصر، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.

(٤) اسحق أحمد الفرحان، وآخرون، المنهاج التربوى بين الأصالة والمعاصرة، الطبعة الأولى، الأردن (عمان): دار الفرقان، ١٩٨٤، ص ٢٦.

(5) Barous, D., **From Communication To Curriculum,** Hormand- Sworth, Middlesex: Pinguin Books Co., Ltd., 1976, pp: 14-15.

(٦) روبرت دورتر، ترجمة نجيب يوسف بدوى، منهج المدرسة الابتدائية، القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٥، ص ١١.

(٧) فرنسيس عبد النور، التربية والمناهج، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٧، ص ٧٨.

(٨) انظر (٢).